الخطاب الافتتاحي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٥/٠٨/٢١

في حديقة المهدي في آلتون ببريطانيا

۞۞۞۞۞

لقد أرسل الله المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر ليقيم في الدنيا من جديد تعليم الإسلام الذي جعله الناس في طي النسيان، ويرسخ في القلوب مجددا التقوى التي هي علامة المؤمن الحقيقي، ويثبّت ماهية التقوى وكيفيتها في قلوب الذين يدّعون الإيمان، ولكي لا يكون الإيمان مبنيا على العلم والاعتقاد فقط بل يجب أن تتحسن حالة أصحابه أيضا. فيقول عليه السلام في موضع:

" لقد وجد الله تعالى هذا العصر مظلما ووجد الدنيا غارقة في الغفلة والكفر والشرك، ورأى الإيمان والصدق والتقوى زائلا فأرسلني ليقيم في الدنيا الحقائق العلمية والعملية والأخلاقية والإيمانية من جديد، وينقذ الإسلامَ من صولات الذين يريدون أن يضروا هذه الحديقة الإلهية في لباس الفلسفة والعلوم الطبيعية والإباحة والشرك والإلحاد".

فنرى في هذه الأيام الفلسفة والإلحاد في أوجِهما في غير المسلمين، ومن ناحية ثانية نجد أن حالة المسلمين العملية المتدهورة أدّت إلى خلق بدعات جديدة في الدين، وقد حرّفوا تعليم الدين إلى درجة أن العالم يخاف تعليم الإسلام الجميل. عندما تخبر الجماعة الإسلامية الأحمدية العالم بتعليم الإسلام الحقيقي يستغرب الناس بشدة ويقولون: هل هذا هو تعليم الإسلام في الحقيقة؟ في بعض الأماكن قال الناس لي علنا بأنه إذا كان تعليم الإسلام كما تبيّنه أنت فلسوف يعود العالم إلى الدين مجددا وسيكون جاهزا لقبول الإسلام الذي تقدمه أنت. ولكن كما قال المسيح الموعود عليه السلام بأنه جاء ليقيم الناس على التقوى إلى جانب تجديد الإيمان، وجاء لخلق التغير العلمي والخُلقي. ويجب علينا نحن الأحمديين الذين نؤمن به عليه السلام أن نضع في الحسبان دائما إلى أيّ مدى يجب أن نرفع مستوانا العملي والأخلاقي قائمين على التقوى. وإن لم ننتبه إلى هذا الأمر فيمكن أن ننجرف في التيار الذي ينجرف معه العالم اليوم ونسقط في الهوة نفسها التي نرى العالم ساقطا فيها.

باختصار، نعقد مجالس وجلسات دينية لهذا الغرض، وقد اجتمعنا اليوم هنا لنحسّن حالتنا العملية والأخلاقية مستفيدين من برامج وخطابات مختلفة، ولنرفع مستوى تقوانا لنتمكن من إرشاد العالم بصورة حقيقية.

فسأذكر الآن من هذا المنطلق بعض الأمور التي أمرنا الله بها في القرآن الكريم. ولكن قبل بيان أحكام القرآن سأقرأ عليكم مقتبسا من كلام المسيح الموعود عليه السلام حيث يقول حضرته:

"لقد أكد القرآن الكريم على التقوى والورع أكثر من أي حكم آخر، لأن التقوى تمنح المرء قوة لاجتناب كل سيئة، وتساعده على الإسراع في كسب كل حسنة. والسر في هذا التأكيد الشديد هو أن التقوى تميمة لسلامة الإنسان في جميع مجالات الحياة. إنها الحصن الحصين للوقاية من كل فتنة. إن المتقي يمكن أن يتجنب كثيرا من النقاشات العقيمة والخصومات الخطيرة، بينما يهلك الآخرون بالخوض فيها في كثير من الأحيان، ويسببون الفُرقة في قومهم جراء استعجالهم وظنونهم السيئة، ويُتيحون للمخالفين مجالا للاعتراض".

فينبغي أن نضع في الحسبان دائما أن المسيح الموعود عليه السلام أخبرنا بمبدأ أساسي لنعلم كيفية تقوانا. فاعلموا أن التقوى تهب قوة لاجتناب السيئة وتوجه إلى الإسراع في كسب الحسنات. فكسب الحسنات والابتعاد عن الذنوب بحسب أوامر الله تعالى ونيل رضاه عز وجل هو التقوى التي أرشدنا الله تعالى إليها في عدة أماكن في القرآن الكريم، وسأقدم لكم بعضا منها الآن.

إن سوء الظن من كبائر الذنوب، ولكن في معظم الأحيان يقع الناس في سوء الظن نتيجة فهم أمر ما بصورة خاطئة، أو لكونه غير واضح عليهم، فيسيئون الظن بالآخرين نتيجة فهمهم الخاطئ. ثم يترسخ سوء الظن في أذهانهم ويضطر المرء إلى بذل جهد كبير لإزالته، بل لا يخرج إلا بفضل الله تعالى، فيكون الإنسان بحاجة إلى الإكثار من الدعاء. وإن لم يسع الإنسان بشدة ولم يستعن بالله ولم يهتمّ بالتقوى فلا يمكن إزالة سوء الظن بأي حال. والمعلوم أن سوء الظن يؤدي إلى تدمير سكينة البيوت وإلى نشر القلاقل في المجتمع. ويستمر صاحب الظن السيئ في ارتكاب ذنب بعد ذنب. مهما كنا أقوياء عقديا ولكن إن لم نكن أقوياء عمليا ولو في أمور بسيطة فإننا نفقد السكينة رويدا رويدا. لقد رأينا بوجه عام أن الناس يبحثون في عيوب الآخرين ثم يذكرونها أمام الناس وبذلك يخطون خطوة أخرى بعد سوء الظن ويشرعون في الغيبة التي استنكرها الله تعالى أيما استنكار وعدّها كأكل المرء لحم أخيه. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾. إذًا، فقد عدّ الله تعالى هنا سوء الظن والتجسس والغيبة من الكبائر ولكن الناس لا يفهمون هذا الأمر كما يجب. هناك كثير منا يقولون كلاما يحسبونه هينا لينا، ثم تترسخ هذه العادة فيهم حتى يفقدوا الشعور بشناعتها كليا. يقول المسيح الموعود عليه السلام بأن بعض الذنوب تكون دقيقة جدا فيتورط فيها الإنسان دون أن يشعر. يشيب المرء بعدما كان شابا ولكنه لا يدرك أنه يرتكب ذنبا كذا وكذا. فمثلا هناك عادة الشكاوى، والمعتادون عليها يحسبونها أمرا عاديا وبسيطا مع أن القرآن قد عدّها عادة سيئة. يسخط الله من أن يتفوه الإنسان بكلمة مآلها تحقير أخيه أو تؤدي إلى ما يُحرجه. إذًا، إن ذكر المرء أخاه بما يُثبت كونه جاهلا أو ما يؤدي إلى العداوة له كلها أمور سيئة. ثم يقول عليه السلام عن سوء الظن:

"اعلموا جيدا أن المشاكل والسيئات كلها تنشأ بسبب سوء الظن. أقول صدقا وحقا بأن سوء الظن بلاء خبيث جدا يدمر إيمان المرء ويُبعده عن الصدق والحق، ويحوّل الأصدقاء إلى أعداء. فمن الضروري للحصول على كمالات الصديقين أن يجتنب المرء سوء الظن كثيرا، وإذا نشأ سوء الظن بأحد فليكثر من الاستغفار والدعاء ليجتنب النتيجة السيئة لهذه السيئة. يجب ألا يستهين المرء بسوء الظن فإنه مرض خطير جدا يهلك به المرءُ سريعا".

فعلينا أن ننتبه إلى هذا الأمر جيدا. لا شك أننا اجتنبنا سوء الظن الذي خلَقه المشايخ المزعومون في عامة الناس أو ما يوجد في قلوب عامة الناس بأنفسهم وهو أن الأحمديين يفضّلون المسيح الموعود عليه السلام على رسول الله ﷺ، والعياذ بالله. أقول: لا مجال لتفضيل المسيح الموعود عليه السلام على النبي ﷺ إطلاقا بل نحن نؤمن أنه ليس لأحد أن يعدل النبي ﷺ في الدرجة ناهيك أن يكون أفضل منه، إلا أنه من الممكن أن يهب الله أحدا من عباده قربَه نتيجة كونه خادم النبيّ ﷺ واتباعه اتباعا كاملا. وبسبب هذه الطاعة والاتباع أرسل الله عز وجل المسيح الموعودَ بصفته مسيحا ومهديا موعودا. وأكبر اعتراض يثار حول مرتبته هو أننا نؤمن به نبيا، ولكن يجب أن يكون معلوما أننا نؤمن به نبيا بصفته فردا من أمة النبي وخادما له ﷺ وحائزا على النبوة لكونه خادما له ﷺ. يقول المسيح الموعود عليه السلام أن بعض الناس كتبوا بكل جسارة أنهم (الأحمديين) حزب الملحدين، لا يصلّون ولا يصومون، وهلمّ جرًّا. يكتب كثير من الأحمديين الجدد أمورا من هذا القبيل ويقولون بأن المشايخ كانوا قد أخبرونا هكذا. وقد قال ذلك بعض من العرب أيضا. والحق، كما قلت من قبل، أن بعض المشايخ خلقوا سوء الظن في قلوب عامة المسلمين أن المسيح الموعود عليه السلام ادّعى أنه أتى بدين ادعى أنه أعلى من الإسلام، والعياذ بالله. ولكنهم عندما يجلسون في مجالسنا ويسمعوننا ويرونا ملتزمين بتعليم الإسلام الجميل يعرفون أن هؤلاء المشايخ المزعومين مفسدون ومفترون. فقد أنقذنا الله تعالى من سوء الفهم هذا ووفّقنا للإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام. ولكن بعض منا يسيء الظن ببعض، فهذا النوع من سوء الظن يرتكبه بعض منا. ولكن من مقتضى التقوى أن نجتنبه، وأن نخضع أمام الله تعالى تائبين لاجتنابه. يقول الله تعالى بأنكم لو فعلتم ذلك فإن هذا التغير العملي سيجعلكم مستحقين لمغفرته ويؤدي إلى خلق مجتمع جميل أيضا. فعلينا أن نضع هذا الأصل أمام أعيننا دائما وهو أن نحسن الظن بالآخرين دائما لإبقاء الصلح المتبادل قائما ولتطوير علاقات الحب والوئام بيننا. بل علينا أن نزداد في حسن الظن دائما ونسعى جاهدين في السلوك على هذا النهج باستمرار، لأن سوء الظن يلعب أكبر دور في خلق القلاقل والنـــزاعات والخلافات بين الناس. ولكن الأوهام المبنية على سوء الظن كلها تكون عديمة الحقيقة أو يكون الأمر بسيطا جدا ولكن يتم تضخيمه إلى درجة أن النـــزاعات الخفيفة تصل إلى درجة العداوة. فيقول الله تعالى للمسلم أن عليك أن تقاوم هذه السيئة بكل ما في وسعك. ثم يقول الله تعالى أن عليكم اجتناب البحث عن عيوب الآخرين. وهناك حديث معروف قد سمعناه مرارا جاء فيه:

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ مَا الْغِيبَةُ قَالَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ وَإِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ فَإِنْ كَانَ فِيهِ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ. والمعلوم أن البهتان جريمة أشد فهو كذب. فاجتنبوا البهتان والكذب لأنه شرك. فإذا انتبهنا إلى هذا الأمر الأساسي لإقامة مجتمع جميل سننال رضا الله تعالى وسنقيم الأخوة الحقيقية أيضا في المجتمع. وهذا ما يريده الله تعالى من جماعة المؤمنين أن يعيشوا بالحب والصلح والوُدّ المتبادل. وهذه هي التقوى التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. فهذا هو المجتمع الإسلامي الحقيقي الذي يركز على التصالح والأخوة.

الإسلام يكره نشوء النـــزاعات والخلافات بين الناس واتهام الآخرين دونما سبب. فإذا نشأت الأمور المذكورة أعلاه في الأفراد والعائلات والأقارب فيأمر الله تعالى بأن من واجب المجتمع الإسلامي القضاء عليها ونشر الصلح والوئام.

فعلى كل أحمدي أن يتذكر أنه إذا كان يتمنى حيازة القوة على مستوى الجماعة ودفع عجلة الجماعة إلى الرقي والازدهار، وإذا كان المطلوب هو التحلي بتقوى الله والاستفاد من رحمة الله، وإذا أراد أحد أن يحسّن عاقبته في الدنيا والعقبى، فلا بد للجميع أن يعيشوا بالحب والأخوة مثل الأشقّاء. عندما ننظر إلى العالـــم الإسلامي اليوم نجد أنّ السبب الوحيد لانحطاطهم وإدبارهم وذلتهم والقلاقل بينهم واتهام بعضهم بعضا هو أن الزعماء المسلمين والمشايخ لا يسعون إلى إقامة الصلح والحب بينهم بدلا من خلق الفُرقة. أما نحن الأحمديين فننظر إلى تصرفاتهم هذه بكراهية واستنكار، ولكن هناك كثير يكنّون في قلوبهم الكراهية على مستوى الأقارب أو المجتمع. يحاول نظام الجماعة أن يقيم الصلح بينهم ولكنه يواجه أحيانا ظروفا يتأذى الإنسان بسببها.

فإذا كنا نريد أن نستفيد من كوننا جماعة واحدة وإذا كنا نريد أن نحرز رحمة الله تعالى فمن الضروري أن نقيم الوحدة في كل مستوى، وهذا هو الجمال العملي الذي سوف يجذب الآخرين إلينا. ولا يُفهم أن المؤمنين فقط ينبغي أن يعيشوا بسلام بل وُجّه المؤمنون إلى ذلك لأنه إذا جعل المؤمنون مجتمعَهم جميلا فتُفتح لهم أبواب التبليغ تلقائيا.

ورد في القرآن الكريم والأحاديث عموما حكم التعامل مع جميع الناس بوجه حسن والعيش معهم بالصلح والسلام. ورد في حديث: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. (صحيح البخاري، كتاب الإيمان) أي المسلم من سَلِم من يده ولسانه ذلك الشخص الذي يريد أن يعيش بسلام. فرسالة الإسلام المبنية على الأمن والصلح واسعة جدا، ولكن المخاطَبين الأولين هم المسلمون. وإن لم تكن نماذجنا وفق تعليمنا فلا يحق لنا أن نقول شيئا للآخرين. فاليوم أولئك الذين بينهم شقاق وحساسيات فيجب عليهم أن يزيلوها بسبب بركة هذه الجلسة، وامْـــحوا الشكاوى التي بلغت حد المقاطعة فيما بينكم، واخلقوا الصلح والصفاء، وكونوا ممن يجذبون رحمة الله تعالى.

ثم يأمر الله تعالى أولئك الذين يسلكون دروب التقوى ويأملون بغفران الله تعالى ويتمنون الفوز والرقي ويحرزوهما بأن يتمسكوا بالصدق ويقولوا قولا سديدا، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧١-٧٢). يكره الإسلام جدا أن يزوِّر الإنسان قولا أو يحرّفه ناهيك عن أن يكذب، بل فضلا عن عدم تزوير القول يقول الإسلام لا تقولوا قولا تكون فيه عقدة ولغز يجعل أحدا يبني رأيا سلبيا عنكم. فعندما تتعاملون مع الناس فتعاملوا معهم بالصدق والسداد. أساس كثير من الخلافات هو أن الذي يُتعامَل معه يفهم شيئا والمتعامِل يقدّم مفهوما أو شرحا آخر عند الخلاف والخصام. ثم عندما تُرفع هذه القضايا في المحاكم يضيف إليها المحامون مزيدا من الحواشي ويجعلون القول معقّدا لدرجةِ أنْ تنقضي الحياة في الاستئنافات ومتابعة القضايا. لذا يقول الله تعالى بأن التقوى تعني أن تتجنبوا الأقوال المعقّدة.

ثم وضع النبي ﷺ هذه الآيات في خطبة النكاح، وبذلك وجَّه الفتى والفتاة وأسرتَيهما إلى أن يضعوا أمامهم الصدق دوما عند بدْءِ الفريقين بعقد القِران، لأنه أساس الثقة وأساس التقوى أيضا. ثم بيّن الله تعالى منافعه أيضا بأنكم لو تجنّبتم القول العابث والمعقَّد فماذا تستفيدون؟ سيصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم. فإذا لم تكن فيكم التقوى فلن تنصلح أعمالكم وستعاقَبون على أخطائكم. يقول خليفة المسيح الأول ﷺ عن ذلك في موضع: إذا كانت التقوى لكان الله تعالى ضامنا لإصلاح الأعمال، وإن وُجد ذنب فسوف يعفو عنه. ولا يُفهم من ذلك أن يرتكب الإنسان كبائر الإثم ظانًّا أن الله سيغفر لأنني أتحلّى بالتقوى. لأنه لو كان تقيًّا لما اقترب من المعاصي أصلا. الذنب هو الأخطاء التي تصدر منه بسبب الضعف البشري فيغفرها الله تعالى. فلو كان فريقان يعملان بالتقوى والقول السديد فيصرف كل منهما النظر عن أخطاء الآخر الصغيرة.

يجب التذكر هنا أنه لا يمكن لمؤمن أن يهتدي إلى درب التقوى على وجه صحيح كما لا يمكن له أن يفهم حقيقة القول السديد إلا إذا جعل القرآن الكريم مُرشِده ودستور عمله، لذا عليه أن يفكر في القرآن الكريم ويسعى للعمل به قدر المستطاع. وما لم يحدث ذلك لن يجري فعل الله وقانونه تعالى المتعلق بالفلاح وبإصلاح الأعمال وبمغفرة الذنوب. لا يغفر الله الذنوب ما لم يعمل المرء بالتقوى وما لم يُظهر القول السديد. إذنْ لا بد أن يوضع هذا الأمر أمام الأعين.

وقد وضّح هذا المضمونَ الجزءُ التالي للآية حيث قال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. ولا يمكن أن تتأتّى الطاعة ما لم يعلم الأحكام، لذا ينبغي تحري الأحكام أيضا، فإذا بدأ الإنسان أن يفهم هذا الأمر ويعمل به عند المصاهرة وإنشاء العلاقات وفي أمور البيت وفي أمور المجتمع فكما يصلح الله تعالى أعمالنا كذلك سنكون مسترشدين في كل مناسَبة بسبب معرفتنا بأحكامه تعالى وستتأتى لنا أسباب المغفرة لأخطائنا، ومن ثم لا يكون تأثيره الواسع على أنفسنا وعلى الفريقين فحسب بل يكون على المجتمع أيضا.

ثم يعلِّمنا الله تعالى دعاء لإنشاء المجتمع التقي ولإجراء التقوى في الأجيال القادمة فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. (الفرقان:٧٥) فلا يكفي للإنسان أن يجعل

نفسه تقيّا أو أن يدّعي التقوى، أو لا يكفي أن يمشي هو نفسه على درب التقوى فقط بل يقول الله تعالى أن ادْعُوا: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا. والإمام يقال للسيِّد والمرشِد وللأسوة التي يُقتدى بها. فهذا دعاء لنكون أسوة لأزواجنا وللذين هم تحت تأثيرنا ولأصدقائنا ولأولادنا وللمتقين.

إنه لدعاء واسع وهو أن نوهب من قِبلِ أولادِنا جميعًا قرة الأعين ونورَها والسكينةَ.

يقول الخليفة الأول رضي الله عنه موضحًا هذا الأمر: ندعو الله أن يصبح لنا الأولاد نورًا لأعيننا وهو علامة لراحة القلب وسروره. وندعو الله تعالى أن نكون في المستقبل أسوة ونموذجًا للمطيعين المسلمين.

وبهذا الطريق سوف يتشكل مجتمع مثالي ويمكن أن يتصور الإنسان روعة هذا المجتمع وجماله بحيث يسعى فيه كل تقي أن يكون أسوة للمتقين الآخرين. فإن هذا الدعاء واسع جدًّا، وإنه لدعاء هام من أجل التقدم في مجال الحسنات. تصوروا لو دعا كل واحد هذا الدعاء وركّز عليه بعد فهم حقيقته لانخلق مجتمع رائع وجميل كما ذكرت. عندما يدعو الإنسان أن يكون إمامًا فإنه يسعى ليزداد علمًا وعملا أيضا ويحسّنهما. وإذا سعى على هذا النحو جميع الأفراد فإن سعي كل فرد يزيده روحانية على المستوى الفردي كما أنه يساعد على تخطي منازل جديدة للرقي على المستوى الجماعي أيضا، ولن يحدث لهم تقهقر أو تخلف مع مرور الزمن بل سيتحقق لهم الرقي جيلا بعد جيل. في عصرنا الراهن الذي يجري فيه الإنسان من أجل نيل الدنيا، عندما يسعى الإنسان ليكون تقيًا وإمامًا للمتقين فإنه بذلك يجذب محبة الله أيضا. ينبغي أن نحاسب أنفسنا –نحن الذين آمنا بالمسيح الموعود عليه السلام وعاهدنا بأننا سنوثر الدين على الدنيا– لنعرف إلى أي مدى بذلنا الجهود ليس فقط من أجل السلوك في مسالك التقوى بل من أجل أن نكون أسوة ونموذجًا للمتقين، وإلى أي مدى نقوم بتربية أولادنا. فإن لم نقدم نماذج مثالية في العلاقة مع الله تعالى فلا يسعنا الاستفاضة بهذا الدعاء.

ثم ينبه الله تعالى إلى الوفاء بالعهود، وهو ما لا بدّ منه لمن يسلك مسالك التقوى. يقول الله تعالى بهذا الخصوص: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٧)، أي ليس مقبولا عند الله إلا من يوفي بعهد الله تعالى، وإن الوفاء بالعهود هو التقوى بعينها. لم يؤكد الله تعالى لنا على أداء حق العهود والأمانات فحسب، بل أخبرنا أن هذا الأمر يُعدّ من درجات التقوى العليا، وإنه ذريعة لجذب محبة الله تعالى. وإن كثيرًا من مشاكل المجتمع تتولد وتبرز لأن الإنسان لا يفي بأقواله وعهوده، ولكن على الأحمدي بشكل خاص أن يتذكر ما قلته آنفًا أننا عاهدنا بإيثار الدين على الدنيا، فمن مقتضى الدين ومتطلباته أنْ نفي بكل عهد لا يخالف التعاليم القرآنية، وذلك لأن الوفاء بالعهد يقع على جانب كبير من الأهمية.

فإذا كان واجبًا علينا الوفاء بالعهود الدينية فإنه يجب علينا الوفاء بالعهود المتعلقة بالأمور الدنيوية أيضا. إن الوفاء بالعهود من الدين أيضا. عندما نبّهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى التقيد بالعهود فلم يقل بأن الوفاء بالعهود الدينية ضروري فقط أما العهود الدنيوية مع الأقوام الأخرى فلا تفوا بها. كلا بل عدم الوفاء بالعهود والغدر بها عمل المتهافتين على الدنيا وليست هي شيمة المؤمنين السالكين في دروب التقوى، كما تفعله بعض القوى الكبرى في المعاهدات مع الشعوب الفقيرة إذ إنها تقدم تأويلات شتى للتنصل من المعاهدات أو تضع

عند المعاهدة عبارات معقدة تستخدمها فيما بعد لصالحها. فلا يلتزم هؤلاء بالقول السديد. فليكن هذا السلوك لأهل الدنيا، أما الإسلام فيعلّم الالتزام بالقول السديد لأنه التقوى بعينها. قال النبي صلى الله عليه وسلم أن نقض العهد خصلة من خصال النفاق ويؤدي بالمرء إلى أن يكون منافقا، وعليه فينبغي علينا الالتزام بعهودنا بكل دقة والوفاء بها. لقد وجه القرآن الكريم إلينا أحكامًا كثيرة، منها أوامر أمر الله تعالى بفعلها ونواهٍ أمرنا بتجنبها. فهناك حاجة ماسة بعد الإيمان للبحث عن هذه الأحكام والعمل بها وتحقيق التقدم في هذا المجال.

لقد عاهدنا في شروط البيعة أننا سنقبَل حكومةَ القرآن المجيد على أنفسنا. فينبغي أن نبحث عن هذه الأحكام ونعمل بها، وهذه هي الجادة التي نحتاج إلى البحث عنها، لتشكل هذه الأحكام خطةَ أعمالنا، وينبغي أن يكون كذلك.

لقد ذكرت بعض الأمور فحسب، وفقنا الله تعالى لأداء حقوق الله تعالى وأداء حقوق عبادتنا له أيضا ووفقنا لرفع مستويات عباداتنا دومًا، وأن نؤدي حقوق العباد ونحسّن تعاملنا اليومي مع الآخرين، وأن نفي بالعهود أيضا. فإذا عُدنا بعد الاستماع إلى الخطابات ورفع الهتافات دون العمل عليها فإن هذه الجلسة وهذه الترتيبات الواسعة النطاق لا فائدة منها بل هي عابثة كما قلت ذلك في خطبة الجمعة أيضا. فعلى كل واحد منا في هذه الأيام أن يركز على الأدعية، وينتبه إلى أداء كافة الحقوق، ويفكر كيف يمكنه أداء هذه الحقوق كلها بأحسن وجه. كما ينبغي على الجميع أن يحاولوا رفع معايير التقوى عندهم. ماذا يريد منا المسيح الموعود عليه السلام؟ وكيف كان يريد أن يرانا. يقول حضرته:

"ابذلوا قصارى جهدكم في نشر وحدانيّته على الأرض، وارحموا عباده ولا تظلموهم لا باللسان ولا باليد ولا بحيلة من الحيل، واسعوا دائمًا لنصح الخلق، ولا تتكبروا على أحد ولو كان مرءوسَكم، ولا تسبوا أحدًا وإن كان يسبّكم هو، وكونوا مستكينين وحلماء وصالحي النية ومواسين للخلق لتكونوا من المقبولين. كثيرون من يُظهرون الحلم ولكنهم ذئاب من الداخل. وكثيرون أنقياء في الظاهر إلا أنهم ثعابين من الباطن، فلا يمكن أن تُقبَلوا في جنابه ما لم يكن ظاهركم وباطنكم واحداً. ارحموا الصغار وأنتم كبار لا أن تحتقروهم، وعِظوا الجاهلين حال كونكم علماء لا أن تُذلّوهم عن عُجْب، واخدموا المساكين وأنتم أثرياء لا أن تتكبروا عليهم عن زهو. احذروا سبل الهلاك وارهبوا الله دائمًا واتّقوه ولا تعبدوا المخلوق وانقطعوا إلى مولاكم وكونوا زاهدين في الدنيا، ولله وحده كونوا وله اقضوا الحياة، وله انفروا من كل رجس وفجور لأنه قدوسٌ. ينبغي أن تشهد لكم كل صبيحةٍ أنكم بِتُّم الليلة أتقياء ولْيشهد لكم كل مساء أنكم قضيتم النهار خائفين حذِرين، لا تخافوا لعنات الدنيا فإنها لا تلبث أن تغيب كالدّخان ولا تستطيع أن تحوِّل النهار إلى ليل، بل خافوا لعنة الله التي تنـــزل من السماء، ومَن حلّتْ به استأصلتْ شأفتَه في كلتا الدارين. إنكم لا تستطيعون أن تنالوا النجاة بالرياء، وذلك لأن الله الذي هو إلهكم بصير بما في صدور الناس فهل بوسعكم أن تخدعوه؟ فاستقيموا وتطهّروا وتزكّوا وأخلصوا. إن كانت بقيتْ فيكم ذرة من الظلام فستذهب هي بنوركم كله،

وإن كان فيكم ذرة من الكبر أو الرياء أو العُجب أو الكسل فلستم بشيء يصلح للقبول. ولا يخدعنّكم الزعم أن ما أخذتم من بعض الأمور قد حققتم به الهدف المنشود، وذلك لأنَّ الله يريد أن يحدث في أنفسكم تغير تام، ويطالبكم موتًا يحييكم بعده. أسرعوا في التصالح فيما بينكم وأقيلوا عثرات إخوانكم. وشرير ذلك الإنسان الذي هو غير راضٍ في مصالحة أخيه، ولسوف يُقطع لأنه يُحدث التفرقة. تخلّوا عن أنانيّتكم من كل وجه، ودعوا المغاضبة بينكم وتذلّلوا ذلةَ الكاذب وأنتم صادقون لكي يُغفر لكم، واتركوا العُجب والاعتزاز بالنفس لأنّ الباب الذي نوديتم إليه لا يقدر إنسان سمين على الدخول منه. وما أشقاه من إنسان لا يؤمن بهاتيك الكلمات التي خرجتْ من فم الله فبيّنتُها!" (سفينة نوح)

متّعنا الله تعالى بالتقوى الحقيقية لنكون ممن يقدمون نموذجًا لتلك الجماعة التي كان يريد المسيح الموعود إنشاءها. وفقنا الله تعالى لنجذب أفضال الله تعالى بشكل حقيقي خلال أيام الجلسة هذه. وقى الله تعالى الجميع من كل شر، وأن تكون هذه الجلسة مجلبة لكثير من البركات للجميع. تعالوا الآن ندعوا معًا.